

«كان يا مكان في دنيا الصحة والأمان»

حكايات وقصص من طفل إلى طفل (٢١)

الشعر الأحمر المستعار
(عن القمل)

ورشة الموارد العربية



أُلّفت حكاية "الشعر الأحمر المستعار" لكل من يحب الحكايات، وخصوصًا للأطفال. وهكذا، عن طريق اللهو، سيتعلّمون عن القمل وطرق معالجته والوقاية منه. وسيتمكنون بعد ذلك من قراءة الحكاية أو روايتها لإخوانهم وأخواتهم اليافعين، والأطفال الآخرين، وإلى أهلهم، ليصبحوا بذلك "رسل صحة" حقيقيين في محيطهم.

راجعوا أيضاً الأنشطة في نهاية القصة.

حكايات وقصص من طفل إلى طفل

١ – مغامرات موسى في النهر (نافد): مخاطر المياه القذرة والمياه الراكدة
٢– أخي الصغير يمشي: طفل يعلم أخاه ويساهم في نموه
٣– الشجعان الثلاثة: ثلاثة أطفال معوقين يساعدهم أصدقاؤهم على التكيف
٤– هزيمة العصابة (نافد): دور التطعيم في حماية الأطفال من الأمراض والموت
٥– المرشدة نور (نافد): مخاطر الالتهاب الرئوي والحمى
٦– شراب الحياة: قصة عن الإسهال والجفاف ودور الشراب البسيط في الحماية منهما
٧– الفيلان الخمسة: خطر الذباب
٨– حارس المرمى: أهمية الغذاء الجيد
٩– الملك العجوز وخطيبة ابنه الصغيرة: تغذية الرضّع
١٠ – فاتن لم تعد حزينة: اللقاحات
١١ – انتقام الأرنب: نظافة الآبار
١٢ – متاعب الست سرحانة: التربية الجنسية
١٣ – جبل الأقزام: نقص اليود
١٤ – أبطال الكوليرا: دور الأطفال في مواجهة الكوليرا
١٥ – العائلة هاها: الحوادث المنزلية
١٦ – الشاب والتنين: الديدان الطفيلية
١٧ – العم جميل والصغيرة رانية: حماية الأطفال
١٨ – "يسقط السوس": رعاية الأسنان
١٩ – سارة الذكية: الاسهال والجفاف
٢٠ – هجوم: في بناء الصحة والمحافظة عليها
٢١ – الشعر الأحمر المستعار: القمل
٢٢ – عادات سيئة: حكاية طاهر
٢٣ – الضبع وعينا الدجاجة: الفيتامين أ
٢٤ – حمّى الأسد: ضربة الشمس

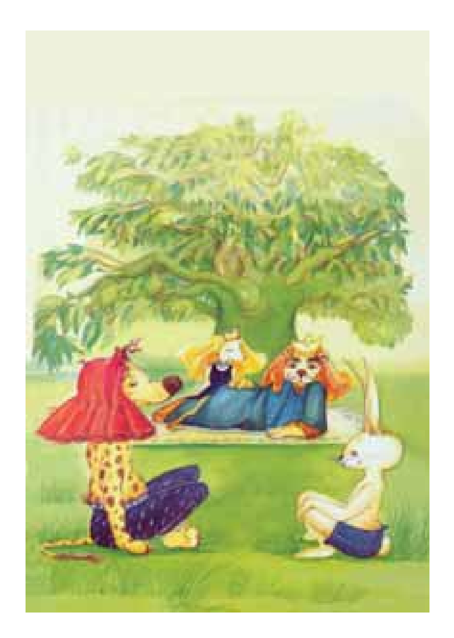
Arab Resource Collective, 2007. tel.: (+9611) 742075
E-mail: arcleb@mawared.org, www.mawared.org

«كان يا مكان في دنيا الصحة والأمان»

حكايات وقصص من طفل إلى طفل (٢١)

الشعر الأحمر المستعار

(عن القمل)



د. إيفون موران

الرسوم بريشة دومينيك غاروس

ترجمة: د. غاندي المهتار

فريق عمل الطبعة العربية: غانم بيبي، دوللي جعلوك، هبه القاضي

التنفيذ الفني: عمر حرقوص



ورشة الموارد العربية، ٢٠٠٧، يمكن تنزيل النص عن الموقع: www.mawared.org

Arab Resource Collective, 2007. tel.: (+9611) 742075

E-mail: arcleb@mawared.org, www.mawared.org

• الشعر الأحمر المستعار عن القمل
• الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٧
• الناشر: ورشة الموارد العربية، ص.ب. ٥٩١٦-١٣ (شوران)
بيروت – لبنان، الهاتف: ٧٤٢٠٧٥ (٩٦١١+) الفاكس: ٧٤٢٠٧٧ (٩٦١١+)
البريد الالكتروني: arcleb@mawared.org الموقع: www.mawared.org

• القصة الأصلية:

• La perruque rouge de Bouki: les poux, by Dr. Yvon Moren, EDICEF 1993
Published in Arabic by the Arab Resource Collective, ARC
P.O.Box: 13-5916, Tel: (+9611) 742075, Fax: (+9611) 742077
Email: arcleb@mawared.org, Website: www.mawared.org

• حكايات وقصص «من طفل إلى طفل»

تم تطوير سلسلة حكايات وقصص «من طفل إلى طفل» من أجل تشجيع تلامذة المدارس الابتدائية على الاهتمام بصحتهم وصحة الأطفال الآخرين. وضع أساس كل قصة من القصص تربوي مجرّب وراجعها فريق من الأطباء والمتخصصين.
يمكن استخدام هذه القصص في مناهج تدريس مبادئ العلوم والبيئة، والصحة المنزلية والمدرسية، والتدبير المنزلي وبرامج المجتمع.

• من طفل إلى طفل:

يشجّع نهج «من طفل إلى طفل» الأطفال والشباب ويمكّنهم من تعزيز صحتهم وصحة الآخرين من حولهم. المشاركة في أنشطة من طفل إلى طفل تنمّي شخصية الأطفال من النواحي الاجتماعية والعاطفية والأخلاقية والفكرية. نهج من طفل إلى طفل عملية تربوية تربط بين تعلّم الأطفال وبين المبادرة العملية لتعزيز الصحة والرفاه والتنمية لأنفسهم، ولأهلهم ومجتمعاتهم.
يوفر نهج من طفل إلى طفل طريقة عملية تمكّن من تطبيق حقوق الأطفال تطبيقًا فعالاً. «نحن نؤمن بحق الطفل ومسؤوليته في المشاركة وفي الصحة والتعليم كما بحقه في اللعب والترفيه».

• ورشة الموارد العربية:

ورشة الموارد العربية مؤسسة عربية مستقلة لا تتوخى الربح التجاري، هدفها إعداد ونشر وتوزيع المواد التعليمية اللازمة في مشاريع الرعاية الصحية والتربية وتنمية المجتمع والموارد البشرية، وتطوير التواصل بين العاملين في هذه الميادين في البلدان العربية.

أطلب أيضاً:

«كيف تستعمل قصص من طفل إلى طفل» من ورشة الموارد العربية www.mawared.org

كان يا ما كان، في قديم الزمان، أسد هو ملك الغابة. وله بنت وحيدة. وكانت هذه البنت في غاية الجمال، ولذلك سموها «الشقراء كالشمس المشرقة».

وكان كل حيوانات الدغل وحيوانات الغابة يعشقونها بالسر ويحلمون بالزواج بها.



وعندما كبرت البنت وصارت في سن الزواج، جمع الملك شعبَه وهزّ لبدته التي يعرف أنها رائعة فعلاً، وقال برزانة ووقار:

«على من يتزوج من ابنتي أن يكون مثلي، قوياً في كل الظروف. فمن منكم يستطيع أن يبقى بلا حركة أطول فترة ممكنة، من غير أن يتحرك أبداً، سيكون أهلاً لخلافتي على العرش».

نظر كل من الحيوانات إلى الآخر فاقدين الأمل...

كان أولهم القرد الذي هرش نفسه وهو يتلوى ويتقلب، فأدرك أنه لا يقدر على الثبات من غير حركة. ولذلك، انسحب من المنافسة.

أدارت الحرباء عينيها المستديرتين الواسعتين وقالت متهمةً لسانها الرفيع: يعجز لساني هذا عن الاستقرار في فمي فيخرج منه منتفضاً كما النابض عند مرور أصغر الحشرات بجانبه. فانسحبت الحرباء أيضاً من المنافسة.



وأعلن الفيل بدوره أنه ليس مرشحاً لخلافة الملك والزواج من ابنته، فأذناه الكبيرتان لا تستجيبان لرغباته منذ زمن طويل. فهما مُنشغلتان جداً بطرد الذباب الذي لا يتركه ولو للحظة واحدة.

ثَغثَغَ جدي فتيٌّ «بآء! بآء! بآء!» وهو يقفز على قائمتيه الخلفيتين، مخلّفاً وراءه سلسلةً من الروث الأسود. هذا كل ما فعله، ففهم الجميع أنه عاطفي لا يستطيع الاشتراك في المسابقة.

وحده، في الحقيقة، شيخ التماسيح يقدر على الثبات من غير أي حركة لساعات، حتى يبدو وكأنه جذعُ شجرةٍ ميتٍ يطفو على وجه الماء. ووحده قادر على التقدم من الملك طالباً الاشتراك في هذه المسابقة لكي يفوز بيد ابنته. لكنه الآن ملك المستنقع... وهذه المسؤولية الثقيلة تكفيه.



وهكذا، أدرك الحيوانات، الواحدُ بعد الآخر، أنهم عاجزون عن الدخول في المنافسة.

في إحدى الزوايا، كان بوكي الضبع مسروراً يضحك ضحكةً خافتةً.

فهذا الحيوان المدّعى، آكل الجثث، ذو الفروة الرمادية، رأى نفسه وحيدًا في هذه المسابقة من غير أن ينافسَه أحد.

أما جارُه، سونكو الأرنب البري، فلم يعلن قرارَه بعد. لكن الجميعَ يعرف أن هذا المراوغ لا يستطيع تثبيت شاربيه أو أذنيه أو ذيله، حتى أثناء نومه.



تقدم الضبع أمام الأرنب المتبسم وهو يحرك روفيه. نظر الأسد نظرةً إلى هذا الضبع المدعي ذي الرائحة الكريهة فسمره في مكانه. ورفعت الجلسة... يجتمع الكل في نهاية موسم الأمطار تحت شجرة الثرثرات.

عند الفجر، رفع الأرنب البري نظره إلى السماء. ستستمر الأمطار بعد شهرين، وهذه مدة كافية جداً ليجد بوكي ويسرق منه ابنة الملك.

إثر ذلك، قصد الحيوان ذو الأذنين الطويلتين الغراب العجوز الذي يبيع الألبسة المسروقة والمستعملة...



ما من شيء كان يمكن أن يوقف أنفه عن الاهتزاز فرحاً عندما وضع يده على ذلك الشعر المستعار الأحمر كالذي يلبسه القضاة قديماً في محاكم بعض البلاد. وكم فرح بطلُنا هذا عندما اكتشف أن هذا الشعر المستعار ليس سوى عشٍ دافء لعدد من القملات ولبيوضها.

وفي لمحة بصر، وصل سونكو إلى باب منزل بوكي.
تخلى الضبع عن حذره المعهود من عدوه الأبدي عندما رأى هذه الهدية الرائعة، هذا الشعر المشابه لشعر الأسد.
جربه بوكي فوراً وعدّله ليناسبه جيداً. صفق له سونكو المخادع



وقال: «إنه مصنوع لك! صدقني! بهذا الشعر الأحمر، أنت أسدٌ فعلاً أسد من غير منازع... لا ملوك غيرك. فالآن، لا وجود لهم أبداً!».

ومرّت الأيام. اعتمد بوكي الشعر المستعار، وصار يجول في القرية منفوخ البطن. أصبح له الكثير من الأصدقاء، لكن هذا الأمر لم يدمْ طويلاً. وشيئاً فشيئاً، أخذ الآخرون يبتعدون عنه. وشاع الخبرُ أن بوكي يهرش شعر عُرفه هرشاً قوياً يمنعه من النوم.



عرف القرد بالخبر، وهو الثرثار الأكبر في القرية، والمختصُّ بنزع القمل فيها.

عرض القرد على بوكي استشارة مجانية وصار يفتّش في عرفه، تحت الشعر المستعار، تفتيشاً دقيقاً.

وبعد قليل، عثر على قملتين اثنتين، منتفختي البطن مثل جرة الماء!

وضعهما تحت أنف بوكي، وقال:



أترى، لو لم أفعل ما فعلته الآن، فهاتان القملتان كانتا ستصبحان جدتين لعشرة آلاف قملة في أقل من شهرين!».

صار القردُ زائراً دائماً في منزل الضبع، نراه كل يوم منصرفاً إلى عمله أمام باب البيت.

يجلس القرد على كَتفي بوكي واضعاً رأس الضبع بين يديه ومنكبًّا على التنقيب في عرفه الخشن من غير أن يتوقف عن الكلام.

كان القرد محدِّثاً ثرثارًا لا يتوقف عن الكلام عن عمله، فهو يعرف كل شيء عن القمل. أنه حيوانٌ مدهشٌ فعلاً.

ما نجا من يديه أحدٌ، أكان فقيراً أو غنياً، قادراً أو ضعيفاً، مهووساً بالنظافة أو مهملاً!



أصلُ القمل غامضٌ. فكما تُولد الديدان من اللحم الفاسد، يخرج القملُ من فروة الرأس، وتتكون من العَرَق المرّ والمالح. يتغذى هذا القمل من الدم، فيلزمه أربع وجبات على الأقل يومياً..

على بوكي إذن أن يتّبع نظاماً معيناً: فيجب أن يتجنّب استهلاك الجثث والقيام بالمطاردات الطويلة التي يعود منها وقد تبلل شعرُه بالعرق.

لزم الضبعُ غرفته... وبعد أيام قليلة، صارت زوجته وأولاده يهرشون شعرهم بجنون...

فرح القردُ بذلك، فها قد وجد عملاً يشغله في الصيف القادم ويدرّ عليه مالاً. قام بتجديل شعر زوجة بوكي في ظفائر قصيرة مشدودة بقوة حتى يختنقَ فيها القمل.



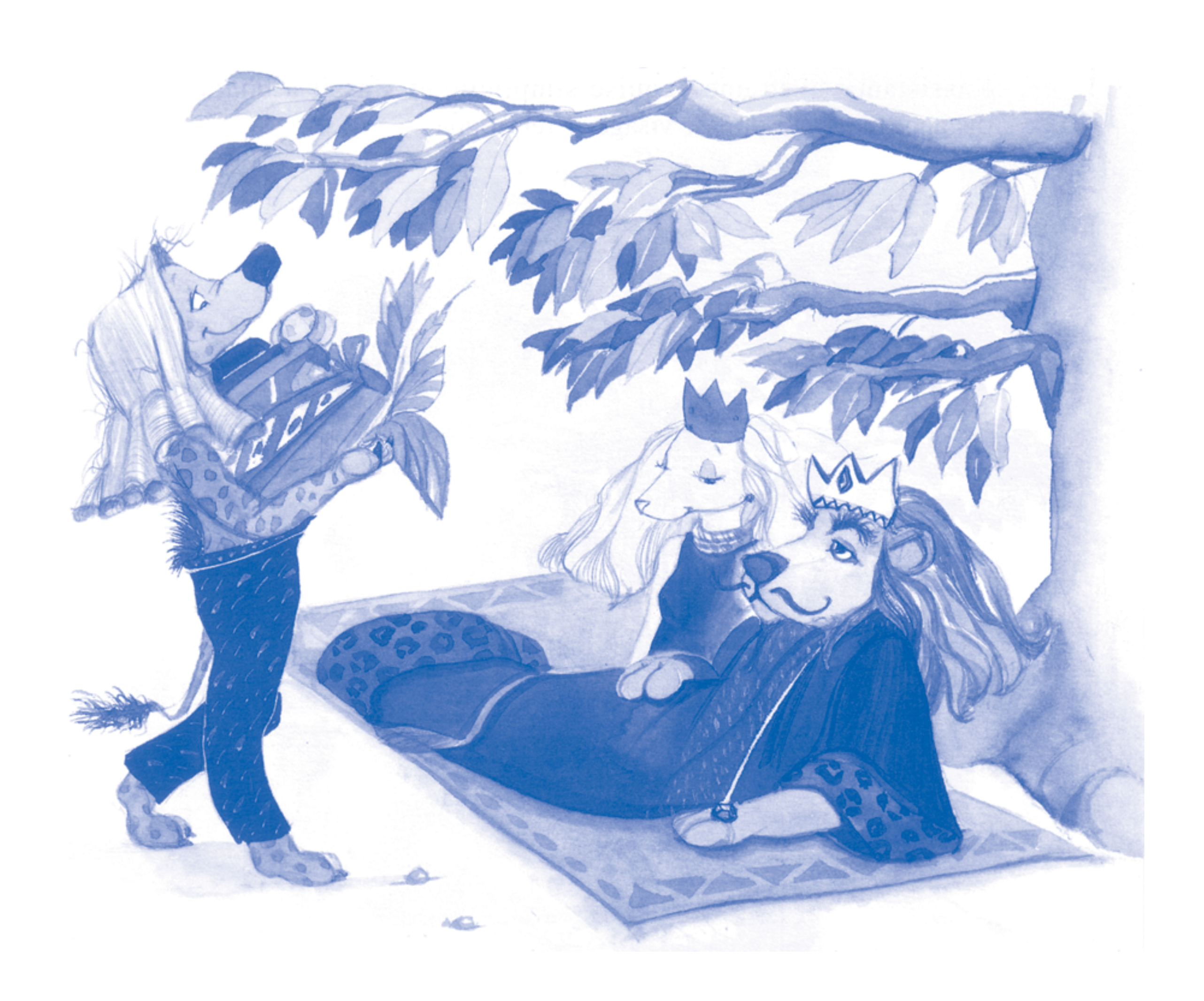
أما لعلاج بوكي فاختار حلاً جذرياً: لقد حلق له شعر رأسه، وقال له،

«عندما يكون الرأس من غير شعر، لا يستطيع القمل الاختباء».

توقفت الأمطارُ عن الهطول، فأعلن الملكُ موعد المسابقة.

وفي اليوم المحدد، اجتمع كل حيوانات الدغل تحت شجرة الثرثرة.

في الصدر، تمدد الأسد الملك على حصيرتِه، وجلست إلى يمينه ابنته الشقراءُ كما الشمس المشرقة التي ازدادت جمالاً.



علا بعضُ الهمس بين المجتمعين فجأة. فقد تقدم بوكي وعلى رأسه الشعرُ المستعارُ، مُبتسماً وحاملاً الهدايا كالجوز والمجوهرات والأثواب الملونة. حنا رأسَه أمام الملك ثم جلس قبالته.

في غياب المنافسين، استعدّ الملك لإعطاء الإشارة ببدء التجربة.
رفع يده، لكنها بقيت معلّقة في الهواء: فقد تقدّم متبارٍ آخر ما توقّعه أحدٌ أبداً. قفز قفزةً واحدةً وانتصب في وسط الساحة.
إنه الأرنب البري ذو القدمين الرشيقتين. حيّا الملك وابنته وكلَّ الحاضرين بتواضعٍ وتهذيبٍ، وجلس بعيداً من بوكي الذي ظهر على وجهه العبوس.



ابتدأت المنافسة.
جلس المتنافسان، الواحدُ مواجهاً الآخر، وبقيا طويلاً ثابتين لا يتحرّكان.

لقد تعذّبا كثيراً. فكلٌ منهما يُجاهدُ بصعوبة، أحدهما يمنع نفسه من الهرش والآخر من تحريك أذنيه الطويلتين.

كان الملك يعرف أن ابنته تحبّ سونْكو الأرنب حباً سرياً، فقرر أن يتدخّل وقال:

«أخبرنا يا صديقنا سونكو: ماذا تفعل أثناء الصيد حين تُضطر إلى الثبات مختبئاً بين الأعشاب العالية»؟

أجاب الأرنب: «مولاي، أُثبّت نظري على الطريدة. فإن ذهبتْ يميناً، تحوّل نظري إلى اليمين وإن ذهبتْ يساراً، تحوّل نظري إلى اليسار. ولكي لا تعرفَ هذه الطريدة بوجودي، أخفض أذنيّ».



لقد استفاد الأرنب المخادع من هذه الفرصة، إذ حرّك رأسه مرّة إلى اليمين ومرّة إلى اليسار وهو يجيب الملك، كما أراح أذنيه...

لم يكن الملك مغفلاً، لكن الحاضرين لم ينتبهوا للأمر. أما بوكي فكان مشغولاً بهمٍّ آخر: تحت شعره الأحمر المستعار كان القمل ينهكه.

وعندما لسعته قملةٌ لسعةً أقسى من اللسعات الأولى، ما استطاع الاحتمال أكثر، فوقف فجأةً.

إرتطم رأسه بالأغصان المنخفضة، فعلق بها الشعر المستعار وظهر رأسُ بوكي الخالي من الشعر كرأس الميت، محاطاً بأذنين مسطّحتين مثل خفّين عتيقين.



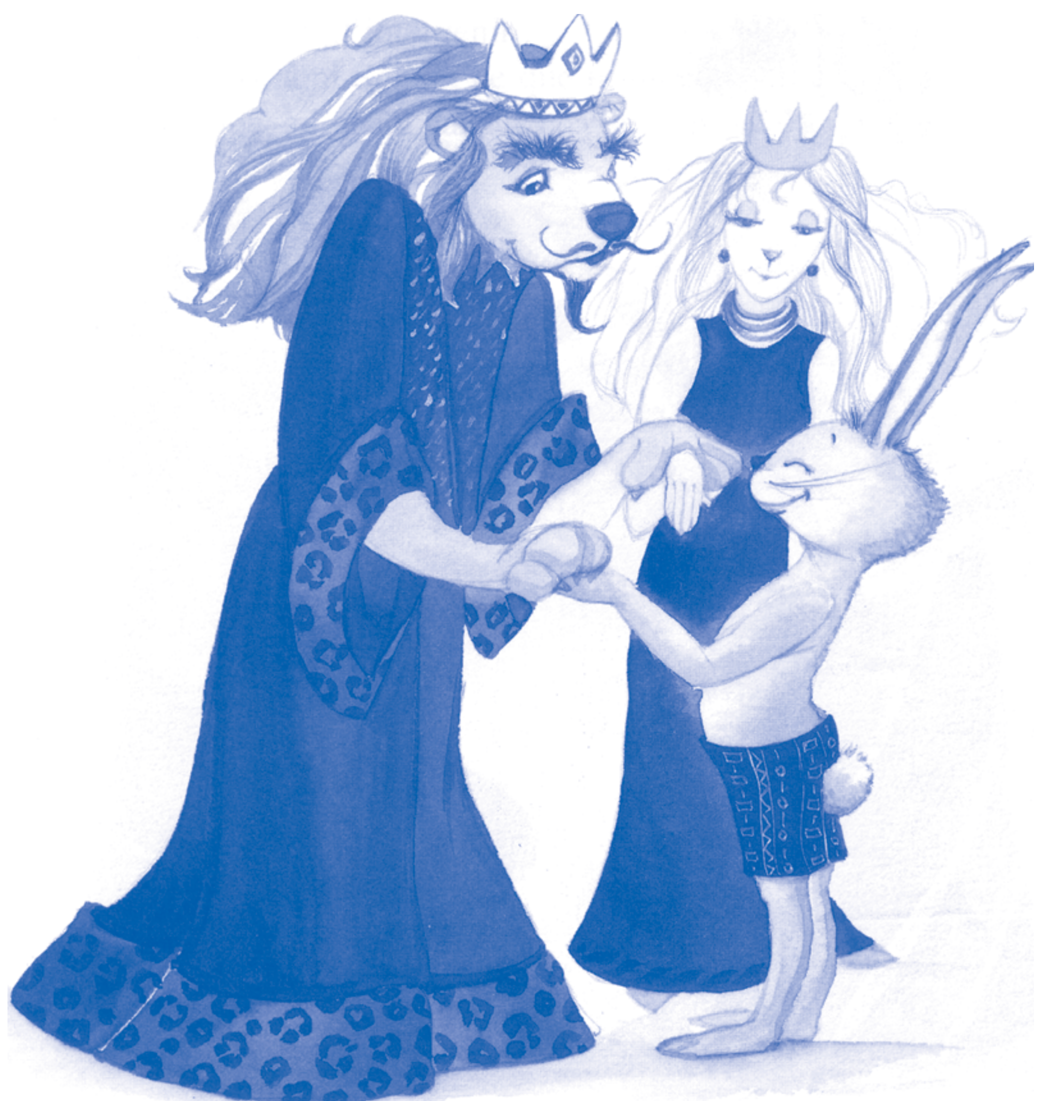
خبأت ابنةُ الملك وجهها في شعر والدها كي لا ترى هذا المشهد البشع.

ضحك الحاضرون والضبعُ الأحمق ما أدرك أن شعرهُ المستعار قد طار عن رأسه، فأخذ يضحك ضحكاً أعلى من ضحك الآخرين.

بقي الملك ثابتاً ولم يحرّك رمشاً من رموشه. وحين فهم بوكي ما قد حصل، كان الأوان قد فات.

وأمام قهقهات وصياح الحاضرين، أطلق ساقيه للريح هارباً بعد أن أصابه العار.

فكر الملكُ في أن الأرنبَ ليس وسيماً لكنه مخادعٌ، ويستحق يد ابنته، فزوجه بها في الحال وسط تصفيق الحيوانات.



وبعد أيام، قامت احتفالات أجمل زواج في ذاكرة الحيوان. إنه الزواج الذي ربط سونكو المخادع والشقراءَ كما الشمس المشرقة، ابنة الملك، بالرباط السعيد.

كان صوت دقّ الطبول يصل إلى بوكي الذي أنهكه القمل.

وذات يوم، قرر أن يطلب مساعدة الكبش الطبيب.



استمع إليه هذا الكبش الذي يعيش في عزلة بالغابة، وقال له:

«القردُ جاهلٌ فعلاً! اليومَ، كل العالم يعرف أن القمل لا يخرج من جلد الرأس كما تخرج قطرات العرق. بل يأتي من بعيد ... فهذه الحشرات التي تمصّ الدماء تأتي من رأسٍ آخر، من هذا الشعر المستعار الذي أهداه إليك سونْكو!».

«هذا القرد أحمقُ فعلاً. إنَّ قتْل القمل لا يكفي، بل يجب أيضاً نزع بيوضه التي تلتصق بالشعر. ويجب أن لا يقتصر العلاجُ على رأسٍ واحدٍ، لكن يجب علاج كل الرؤوس القريبة التي انتقل إليها القمل».



لم ينتظر بوكي ليستمع إلى بقية الكلام، بل غادر راكضاً.

ومنذ ذلك الحين، لا يخرج الضبع إلا ليلاً. على ذمة الراوي.

تذكّر:

١- ينتقل القمل من رأس إلى آخر، وخصوصاً عند تبادل الثياب.

٢- يجب عدم تبادل الثياب والقبعات والشالات وعدم وضعها فوق بعضها على علاقة الثياب.

٣- يسبب القمل هرشاً في قفا العنق وخلف الأذنين.

٤- يجب مراقبة الشعر دائماً.

٥- ينبغي قتل القمل والتخلص من بيوضه.

٦- ينبغي معالجة كل الأطفال - وكل البالغين - الذين انتقل إلى شعرهم القمل في وقت واحد.

ملاحظات تربوية

الجزء الثالي من هذا الكتاب ملحقٌ تربوي موجه بشكلٍ خاصّ إلى المربّين، لكن الملاحظات التي فيه مفيدةُ أيضاً للأهل والأطفال الأكبر سناً.

طُفيلي يهوى الغزو ...

منذ أمدٍ ليس ببعيد، كانت القملة جزءً من الحياة اليومية.

كان للكلب قملُه، وكان للبشر قملهم. وكان نزع القمل في العائلة أمراً ليس كريهاً أو منفراً. لم يكن الناس يعرفون حينها أن قملة الجسم، نسيبة قملة الرأس، هي سبب وباء التيفوس الذي قتل عدداً من البشر يفوق ما قتلته الحروب منذ ابتداء التاريخ.

مع تحسّن نوعية السكن وتراجع العوامل المشجعة على حصول القمل، أي من خلال التقدم الصحي، صار القمل الذي رافق الإنسان منذ بدء الزمن رفيقاً طفيلياً غير مرغوب في وجوده، وينبغي التخلّص منه نهائياً، وذلك بفضل المستحضرات الفاعلة جداً في مكافحته التي ظهرت حديثاً.

لكن، بعد مضي عقودٍ قليلةٍ، يجب الاعتراف بأن القمل ما يزال موجوداً يقاوم دفاعاً عن وجوده، على الرغم من الوسائل التي وضعت للخلاص منه. لا يزال موجوداً وقوياً، يغزو رؤوس كل الأطفال من غير تمييز بين أعراقهم أو بلدانهم أو طبقاتهم الاجتماعية. اليوم، القمل شائعٌ في المدارس ودور الحضانة برغم احترامها كل قوانين النظافة والصحّة العامة. فعائلة من كل عائلتين في أوروبا مبتليةٌ بالقمل، والشاهد على ذلك ارتفاع نسبة مبيعات المستحضرات المضادة للقمل في بداية كل عامٍ دراسيّ.

هذا التفشي للقمل في المجتمعات المحلية، حيث الاتصال مباشر وغير مباشر (تبادل قبعات وشالات)، وعدم صحة المقولة التي تؤكد أن القمل يأتي مع الوساخة، هما الدافعان وراء اختيار القمل موضوعاً لهذه الحكاية.

الحكاية: وسيلة تربوية قديمة جداً

في البلدان ذات التراث الشفهي، تستمر الحكايات في لعب دورٍ أساسي. فالكل يعرف أن هذه الحكايات تتناول أمور الحياة اليومية والمرض والموت من خلال حيوانات تتكلم لغة البشر ومن خلال السحر الذي يتدخل في اللحظات الحاسمة، ومعروف أيضاً أن الحكاية للتسلية، لعبة يشارك فيها المستمعون إليها عبر الموافقة على مضمونها أو اعتراضهم ومقاطعتهم الراوي، لكنها أولاً أداة لها وظيفة تربوية.

إن فكرة استخدام هذه الأداة التربوية ضمن أساليب التعليم ليست فكرة جديدة، لكن فكرة توسلها في التربية الصحيّة تصطدم بعقبة أساسية هي غياب الحكايات الخاصة في هذا الإطار، أي الحكايات التي تحمل بين كلماتها ومعانيها إرشادات صحية إلى جانب القيم الأخلاقية أو الاجتماعية التي تتضمنها في العادة الحكايات التراثية.

هذه الحكاية نصٌّ مبتكر يهدف إلى نشر المعرفة الأساسية حول القمل والوقاية منه وعلاجه، وذلك بأسلوب غير إملائي. وكما كل الحكايات التي تشبهها، تُبرز هذه الحكاية سلوكاً للاقتداء به وتعتمد نموذجاً كلاسيكياً، أي المرور في التجربة والتغلب على الصعاب للفوز بيد الأميرة .

إن بنية الحكاية ليست جديدةً فهي تشابه كل مثيلاتها الشعبية المروية على لسان الحيوان، أي فيها الثنائية القائمة على القوي الأحمق والضعيف المحنك.

إن تكييف هذه الحكاية لتلائم البلدان المختلفة شمالاً وجنوباً أمرٌ يسيرٌ. فهذا النوع من النصوص موجود في كل الثقافات. كما يسهل استبدال الشخصيات، كأن يستخدم الذئب والأرنب في أوروبا . وغني عن القول أن الراوي يجب أن يكيّف النص بحسب جمهوره، مع إضافة الألوان المحلية إليه، وافتتاحه واختتامه بالعبارات التقليدية التي تجذب انتباه المستمعين إليه.

تحليل الحكاية

تذكروا أن القمل يتواجد في ثلاثة أصناف

- قمل الرأس،

- قمل الجسم،

- قمل العانة

إنّ قمل الجسم هو الأخطر بين أنواع القمل الثلاثة، إذ هو السبب في تفشي وباء التيفوس الذي ما يزال شائعاً في شرق أفريقيا وأميركا اللاتينية وجبال الأنديز، لكنَّ محور هذه الحكاية هو قمل الرأس الأقل خطراً والأكثر حصولاً في شعر رؤوس الأطفال.

قمل شعر الرأس ينتمي إلى فئة الحشرات، برغم أن ذلك قد لا يبدو جلياً جداً. فالقملة صغيرةٌ لا يزيد طولها عن ٢ ملليمتر، رمادية اللون قبل أن تبدأ مصّ الدم، وحمراء اللون بعد انتفاخها بالدم. وهي طفيليةٌّ دمويةّ تهوى مصّ دم البشر، أي أنها لا تستطيع أن تمنع نفسها عن الدم البشري الذي تشفّه من طريق لسعنا في فروة رأسنا. وهذه اللسعات هي سبب الهرش.

لغالبيّة الحشرات زوجان من الأجنحة، إلا القملة التي لا تملك جناحاً، أو بالأحرى، التي لم تعد تملك جناحاً. فقد اختفت هذه الأجنحة خلال تطورها إذا أمست من غير فائدة. ككلّ الحشرات، ابتداءً بالذباب وانتهاءً بالفراشات، فإن للقملة ستة قوائم قصيرة لا تسمح لها بالقفز. فهذه الحشرة إذن عاجزةٌ عن الطيران وعن القفز من رأسٍ إلى آخر، بالإضافة إلى كونها عمياء.

وتستعيضُ القملةُ عن كل ذلك بمخالب قويةٍ في قوائمها، تسمحُ لها بالتمسك بفروة شعر جديدةٍ أو بألياف قماشِ شالٍ أو قبعة. كما تسمح لها هذه المخالب بالثبات على الشعر بالقرب من خزان الدم.

إن القملة مثال الخصوبة الرائعة، فهي تتكاثر كثيراً وسريعاً جداً. فبعد ١٥ يوماً من ولادتها، نجدها قادرةً على وضع عشرات البيض يومياً، أي في كل يومٍ من أيام حياتها القصيرة التي لا تدوم أكثر من شهر.

يتخذ هذا البيض شكل العدس الدقيق، أو بعبارة أدق، شكل حبّات الأرز البيضاء الصغيرة، نكتشفها ملتصقةً بأسفل الشعرة، بفضل لاصق قوي تغرزه القملة الأم. وهكذا، لا تكون هذه البيوض معرّضة لخطر الهواء أو ضربات المشط التي تقتلعها بسهولة كما القشرة التي تكسو الشعر. فهذه البيوض مختبئة إذاً، في مكان تُناسبها حرارته، فتفقس سريعاً. وهكذا تتأمن استمرارية سلالة القملة.

❊❊❊

للإفادة علمياً من محتوى هذه الحكاية في المدرسة،
استخلصنا العبارات ذات المحتوى العلمي من النص وجرى تحليلها

١-«... إن هذا الشعر المستعار ليس سوى عشٍ دافء لعدد من القملات وبيوضها». (ص ٧).

في هذه الحكاية، يقوم الشعر المستعار مقام القبعة أو الشال. فتبادل القبعات والشالات التي علق بها القمل، وتشابكها في الخزانات، هما من غير شك وسيلتا انتقال القمل الأكثر شيوعاً في المدارس من احتكاك رؤوس الأطفال احتكاكًا مباشراً.

يجب أن نفترض أنّ هذا الشعر المستعار وصل إلى مكان الغراب قبل أيام. فالقمل لا يستطيع العيش من غير دم أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام. بالإضافة إلى ذلك، يحب القمل دفء الجسم، وأي انخفاضٍ في الحرارة قد يقتله.

٢- «... بوكي يهرشُ شعر عرفه هرشاً قوياً يمنعه من النوم» (ص ٩)

الهرشُ هو أول دليلٍ على وجود الطفيلية هذه في فروة الرأس، إذ نرى الطفل يهرشُ رأسه ليلاً ونهاراً. عندئذٍ ينبغي معالجة الأمر فوراً، قبل أن تتلوث القروح الصغيرة الناتجة من هذا الهرش.

٣- «صار يفتش في عرفه ... وبعد قليل، عثر على قملتين اثنتين...» (ص ١٠)

إذا هرش طفلٌ رأسه، يجب فحص شعره فحصاً دقيقاً (بخلاف الطريقة التي انتهجها القرد في الحكاية، أي خصلةً خصلةً)، بواسطة مشطٍ دقيق.

إن العثور على قملة ليس سهلاً، فهي رمادية اللون ثابتةٌ في مكانها ولذلك يصعب أحياناً تمييزها من الشعر نفسه. في غالبية الأحيان، فإن البيوض الملتصقة بالشعر هي التي تفشي سرّ وجود القمل في الرأس، وخصوصاً أن هذه البيوض مقاومة للغسل والنظافة. كما أنها تعشش في المواضع الدافئة في فروة الرأس مثل قفا العنق وخلف الأذنين.

التصاق البيوض بأسفل الشعر لا يدوم طويلاً، فالشعر يطول وينمو سنتيمتراً واحداً كل شهر، وهكذا تجد البيضة نفسها في آخر الأمر متجهةً نحو رأس الشعرة. في البداية، قد يلتبس علينا الأمر فنظنها القشرة، لكنها - بخلاف القشرة- تقاوم المشط وتبقى في مكانها. إن قتل القمل وحده، كما فعل القرد، ليس كافياً. فهذا بوكي الذي تخلص مؤقتاً من قمله، ابتلي به ثانيةً بعد أن فقست البيوض التي بقيت في مكانها.

٤- «فهاتان القملتان كانتا ستصبحان جدّتين لعشرة آلاف قملة في أقل من شهرين» (ص ١٠)

تُظهر العملية الحسابية أن رقم «العشرة آلاف» مخيفٌ لكنه معقول حصوله ابتداءً من قملتين اثنتين تبيض كلٌ منهما عشرة بيوض يومياً. تفقس هذه البيوض بعد أسبوع لتصبح القملات الجديدة قادرةً على وضع البيض بعد ١٥ يوماً. لحسن حظنا، معدل وفيات صغار القمل مرتفعٌ جداً!

٥- «صار القردُ زائراً دائماً في منزل الضبع ... » (ص ١٠)

تذكّرنا العلاقة المستجدّة بين القرد وبين الضبع بحقبة ليست بقديمة جداً، حين كان الاختلاط البشري كبيراً في المدن وفي الأرياف، حيث كانت الظروف الصحية بدائية جداً والقمل والبراغيث والبقّ تصيب الأغنياء كما الفقراء. ولذلك، فإن نزع القمل لعب دوراً يصعب علينا تخيّله. في ذلك الحين، كان الاغتسال قليلاً، لكن نزعَ القمل من الرأس كان شائعاً: داخل العائلة، وبين الأصدقاء، بجانب الموقدة أو على عتبات البيوت. فما كان هذا الأمر كريهاً بل احتل مكانةً له في الحياة الاجتماعية، إذ كان سبباً للقاءات ودعماً للعلاقات العائلية والغرامية. كما كان هناك مَن يمتلك أنامل رشيقة في البحث عن القمل، كما القرد في حكايتنا، فجعل من «نزع القمل» عملاً له يعتاشُ منه.

٦- «فكما تولد الديدانُ من اللحم الفاسد، يخرج القمل من فروة الرأس» (ص ١١)
يشير هذا النصّ إلى نظرية «الولادة الفورية» التي شاعت قبل قرنٍ ونصف من زماننا هذا. فهذه النظرية ترفض مقولة العدوى وتقول أن الكائنات المجهرية تولد فوراً، من غير أسلاف، انطلاقاً من المادة نفسها. فكان على العالم أن ينتظر حتى ١٨٥٠، حين برهن باستور بشكلٍ قاطع خطأ هذه النظرية. قبل باستور، اعتقد العامة أن الهوام (قمل وبراغيث وبقّ) تولدٌ في داخل الجسم من «أخلاط سميكة» أو «عرقٍ لزج»، أي أنها تنتج من خللٍ داخلي لا علاقة له بنقص النظافة أو بالاختلاط البشري. ولذلك، كانوا يصفون العلاجات الداخلية (نظام غذائي جديد، تطهير) لا الخارجية (نظافة البشرة، إبادة الطفيليات)، انطلاقاً من معتقدهم هذا. من هنا أتت نصيحةُ القرد للضبع بالتوقف عن أكل الجثث....

٧- «يتغذى هذا القمل من الدم، فيلزمه أربع وجبات على الأقل يومياً ...» (ص ١١)
الدم البشري هو الغذاء الوحيد الذي تعيش القملة عليه، تماماً كما البق والبراغيث، ولهذا تُدعى الحشرة ماصّة الدماء. في الماضي، كانت تُلصق بالقملة فوائدُ صحية يفيد منها الإنسان، إذ قيل أنها «علاج ضد الريقان»! كما كان يدعي البعض أن القمل يغسل الدم وينقيه، من خلال مصّه «الأخلاط الضارة التي في أجسام الأطفال» ولهذا كانوا ينصحون بالإبقاء على بعض القملات في الرأس.

٨- «في ضفائر قصيرة مشدودة بقوة حتى يختنق فيها القمل». (ص ١٢)
إن تضفير الشعر في جدائل صغيرة، أو تقصيره، يقلل من أخطار انتقال عدوى القمل. لكن ما أن تستقر القملة في مكانها حتى يكون أوان الوقاية قد فات. إن قيام القرد بتضفير شعر الضبع مستوحاة من فكرة خاطئة سادت قديماً. فكان الناس ينصحون بشدّ الجدائل ووضع الثياب في صناديق محكمة بغية قطع الهواء عن القمل والتضييق عليه كي يموت فوراً».
عند اكتشاف القمل في شعر الطفل، يجب تعقيم الثياب والشالات والقبعات وأغطية الأسرّة والوسادات من طريق غسلها لا وضعها في صندوق محكم.
٩- «حلق له شعر رأسه» (ص ١٢)

لقد اعتُمد هذا الحلّ سابقاً وهو الحل الجذري لمسألة القمل، إذ يقتله ويُبيد بيوضه لكن ينبغي بعدها عدم لبس قبعة فيها قمل!

١٠- « ... تأتي من رأس آخر، من هذا الشعر المستعار ... » (ص ١٨).
يؤكد الكبش الطبيب على ما يعجزُ الجميع الآن عن إنكاره أو تجاهله: الهوام لا تولد ولادة فورية. فالعيش ضمن المجموعات هو السبب في انتقال القمل من رأسٍ إلى آخر، حتى لو كانت هذه الرؤوس نظيفة، لأن القملَ - بخلاف الفكرة الشائعة - لا يحب القذارة.

١١- «إنّ قتل القمل لا يكفي بل يجب أيضاً نزع بيوضه التي تلتصق بالشعر» (ص ١٩).
قتل القمل وترك البيوض أمرٌ لا يجدي. فبعد ٨ أيام، تعود الحالة إلى سوئها الأول. إن تنظيف الشعر تنظيفاً نهائياً، يتطلب قتل القمل وإبادة البيوض في وقتٍ واحد. المستحضرات الجديدة المضادة للقمل فاعلةٌ ضد القملة وبيضها، وغالبيتها مستخرجٌ من زهرة بيضاء مستخدمة في أفريقيا، وخصوصاً في كينيا ورواندا، وتدعى بيرثروم، كما يُنصح باستخدام مشطٍ بأسنان متلاصقة لفصل بيض القمل عن الشعر.

١٢- ويجب أن لا يقتصر العلاج على رأسٍ واحد ...» (ص ١٩)
إن علاج شعر رأسٍ واحد لا يكفي، كي لا نقول أنه لا يفيد، وخصوصاً إن كان ثمة أطفال آخرون أصابهم القمل. فانتقال القمل إلى الرأس النظيف ثانية أمرٌ محكمٌ ولذلك، يجب فحص شعر رؤوس الأطفال والبالغين في العائلة ومعالجة كل مصاب من غير أن ننسى تعقيم وتنظيف الثياب وأغطية الأسرّة. إلى ذلك، يجدر القول أن النظافة الشخصية، وخصوصاً نظافة الشعر، مهمةٌ للغاية.

أنشطة وألعاب

١- **قصّوا هذه الحكاية** على إخوانكم وأخواتكم وأهلكم وأصدقائكم

٢- **أجروا بحثاً ميدانياً** في محيطكم:

- **عن المعرفة :** هل ينتمي القمل إلى فصيلة الحشرات أم إلى فصيلة العناكب، كيف يتكاثر؟ هل يبيض البيض؟ ما الفارق بين البيض والجُريب؟ كيف نلتقط القمل؟

- **عن السلوك والمواقف:** هل يُساء معاملة الطفل الذي في شعر رأسه قمل؟ هل تتم معالجة كل الأطفال في الوقت نفسه؟ هل يتم تنظيف الثياب من هذه الطفيليات؟

٣- **لنلعب لعبة الكلمات:**

- اذكروا كلمات عربية مشتقة من كلمة قمل

- ابحثوا عن الأمثال والعبارات التقليدية التي تمرّ فيها كلمة قمل. هذه بعض العبارات والأمثال:

«سوف أربّي القمل الذي في رأسه»: أي سوف أضربه

«يبحث عن القمل في رأس أصلع»: يتقصّد المشاجرة

«قبيح مثل القملة»: أي غير جميل

ثمة مثال أفريقي يقول: «إصبع واحدة لا تستطيع التقاط القملة»، وهو مرادف لمثال محليّ عندنا «اليد الواحدة لا تصفق». والمثالان يؤديان إلى القول أن «في الاتحاد قوة».

٤- لنلعب لعبة «من الحشرة»؟



ليس الهدف المقصود في هذه اللعبة ان ينظر اللاعبون إلى قملة تحت المجهر، بل الهدف استكشاف السمات الأساسية التي يصنف الحيوان على أساسها في باب الحشرات. ويتم ذلك من طريق مراقبة الذبابة أو الجرادة أو الفراشة، وهي بين الأعشاب أو فوق الشجرة. إلى ذلك، تسمح لنا هذه اللعبة أن لا نخشى القملة، وأن نجدها حشرةً سخيفةً أيضاً، إذ هي مجرد نوعٍ بين أنواع أخرى لا حصر لها من الحشرات التي تعيش في كوكبنا.

- ما الذي يميّز القريدسة عن الخنفسة؟:

للحشرات اسم أجنبي (Insect) مشتقّ من نقطة لاتينية Insectium التي تعني «مقطوعٌ إلى نصفين»، وقد أطلق هذا الاسم على الحيوانات الصغيرة التي تبدو أجسامها وكأنها مقطوعةُ إلى جزأين. وهذا ينطبق بالفعل على الزنبور «المنمنم». لكن هذه التسمية لا تطلق على العنكبوت برغم انطباقها على شكلٍ بعض العناكب.

هل ينبغي إذاً على الحيوان الصغير أن يكون له جسمٌ (رأس وجذع وبطن)، مغطى بالأتراس، وبجلد قاسٍ يقوم مقام الهيكل العظمي، لكي يعتبره العلماء حشرةً؟

أبداً، وإلا اعتبرنا القريدس والكركند من الحشرات.

في الحقيقة، لا يصنف القريدس والكركند في باب الحشرات لأنهما لا يملكان العدد المطلوب من الأرجل، وليس لأنهما لا يطيران.

فالعلماء يطلبون أن يكون ثمة ٦ أرجل في الحيوان الصغير، ليستحق لقب الحشرة، بلا زيادةً ولا نقصان! فللقريدسة عشرة أرجل، وللعنكبوت ثمانية وهكذا.

يسهل إذاً البرهان على أن الخنفسة والقملة والصرصور حشرات فعلاً.



- جانحان؟ أربعة أجنحة؟ لا أجنحة؟

لكل الحشرات، أو لغالبيتها، أربعة أجنحة مثبتة إلى الجذع: جناحان داخليان وجناحان خارجيان. يسهل البرهان عليه في اليعسوبة إذ جناحاها الداخليان مفصولان عن جناحيها الخارجيين.

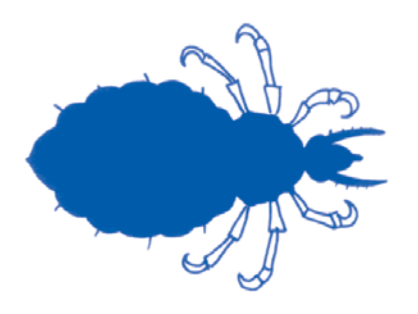
لكن أين هي هذه الأجنحة الأربعة في الفراشات والذباب والخنافس؟

يساعد المجهر على الحصول على الإجابات اللازمة. في الفراشة وفي الزنبور، الجانحان الداخليان ملتصقان بالجانحين الخارجيين. أما الخنفساء، فتخفي جناحيها اللذين تستخدمهما للطيران في غمدين مصنوعين من الجناحين الآخرين. ولهذا، تدعى الخنفساء بالحشرة مغمودة الأجنحة.

في الذبابة والبعوضة، لا وجود إلا لجناحين فقط. لكن هذا ما يبدو في الظاهر: إن الرقّاصين خلف الجناحين، الضروريين جداً للطيران، هما جناحان سابقان أصابهما التحوّل.

هل القملة فعلاً فردٌ في العائلة؟

ليس للقملة جناحٌ واحدٌ، أو لنقل أنها لم تعد تملك جناحاً، إذ قد اختفت أجنحتها بعد أن أمست من غير فائدة. قوائم القملة كثيرة المفاصل، صغيرة الحجم مفيدةٌ للقفز، كقوائم الجرادة وقويةٌ جداً. لكن ليس فيها من محاجم كالتي تسمح للذبابة بالسير على سقف البيت، ورأسها إلى أسفل، لكنها مزوّدةٌ بمخالب تسمح لها بالتمسّك بالشعر والاستقرار.



وللقملة ٦ قوائم، فهي إذا حشرةٌ، ولا جدال في ذلك.

٥- أحجية:

ما هو الحيوان الوحيد الذي يمشي على رأسه؟

